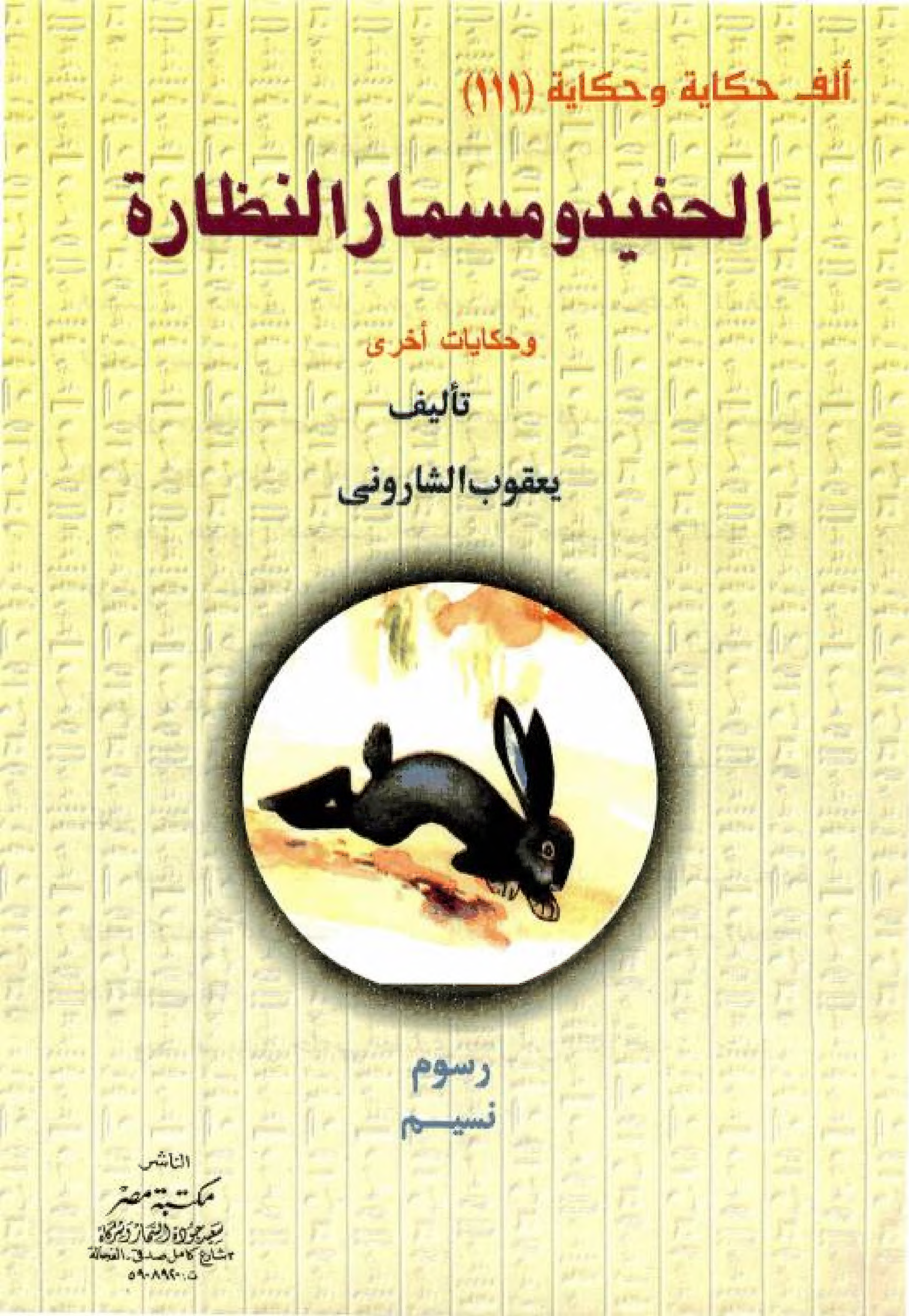

ألف حكاية وحكاية (١١١)
الحفيد ومسمار النظارة
وحكايات أخرى
تأليف
يعقوب الشاروني
رسوم
نسيم
الناشر
مكتبة مصر
سعيد جودة السحار وشركاه
٣ شارع كامل صدقي - الفجالة
ت: ٥٩٠٨٩٢٠

الحفيد ومسمار النظارة

ذاتَ يومٍ سقطَ المسمارُ الدقيقُ الذى يربطُ ذراعَ نظّارتى ، فطلبْتُ من حفيدى ، وكان عمرُهُ ٨ سنواتٍ ، أن يستخدمَ " المفك " لإعادةِ المسمار إلى مكانِهِ .

ورغمَ مهارتِهِ فى مثلِ هذه الأعمالِ ، فقد سقطَ منه المسمارُ الدقيقُ فوقَ سجادةٍ مُلوّنةٍ ، فلم نستطعِ العثورَ عليه .

وفى هدوءٍ ، اصطحبْتُ حفيدى إلى محلِّ إصلاحِ النظاراتِ ، حيث وضعَ " النّظّاراتى " مسمارًا آخرَ .

وعندما خرجْنا ، سألْتُ الصغيرَ : " هل لاحظْتَ ما الذى كانَ الرجلُ يضعُهُ تحتَ النظارةِ ، وهو يقومُ بإصلاحِها ؟ "

أجابَ الصغيرُ : " كانَ يضعُ مفرشًا أبيضَ وهو يثبّتُ المسمارَ فى مكانِهِ ، حتى يجدَهُ بسهولةٍ إذا سقطَ . "

قلْتُ له : " أنا سعيدٌ لأنك حاولْتَ إصلاحَ النظارةِ ، وأكثرُ سعادةً لأنك اكتشفْتَ كيف يتفادى صانعُ النظاراتِ ضياعَ المساميرِ الدقيقةِ إذا سقطَتْ منه . "

وبعد أسبوعَيْنِ جاءَنى حفيدى يقولُ من تلقاءِ نفسِهِ : " جدّى ..

أرجو أن تُعطِيَني نظارتَك ، لأقومَ بتثبيتِ مساميرِها قبلَ أن ينفصلَ ذراعُها ، كما حدثَ منذ أسبوعَيْن . "

قلتُ لنفسي : " لقد وجَّهْتُ الصغيرَ إلى طريقةِ معالجةِ الخطأ ، بأسلوبٍ لا يتعارضُ مع ثقتِهِ بنفسِهِ، وشعورِهِ بتقديري له ، فدفعَهَ هذا إلى مزيدٍ من الإقدامِ والخبرةِ والمهارةِ . "



أيتها الأم .. ماذا فعلت بابنك ؟!

كانَتِ الأمُّ تُحدِّثُني بحماسٍ عن مشاغِلها في البيتِ والعملِ ، عندما طَلَبْتُ منها كوبَ ماءٍ . والتفتَتْ إلى ابنِها " خالد " وقالَتْ: " أحضِرْ لعمِّكَ كوبَ ماءٍ . "

وبعدَ قليلٍ خرجَ خالد من المطبخِ وهو يمسكُ في حرصٍ ، بأصابعِهِ العشرةِ ، كوبَ ماءٍ ممتلئًا حتى الحافةِ . وفجأةً تركَتْ أمُّهُ ما كنا نتحدَّثُ فيه ، وصاحَتْ مُؤنِّبةً ابنَها: " ما هذا الذى فعلْتَ ؟! لقد أفسدْتَ السجادةَ بالماءِ .. أنتَ خائبٌ !"

وبعدَ أسبوعَيْنِ ، عدْتُ لزيارةِ نفسِ العائلةِ ، وتعمَّدْتُ أثناءَ الحوارِ أن أطلبَ كوبًا من الماءِ . وعادَتِ الأمُّ تطلبُ من خالد أن يُحضِرَهُ



لى . ودخلَ خالد المطبخَ ، لكنه لم يخرجْ منه . وفجأةً اندفعَتِ الأمُّ إلى المطبخِ ، وسمعْتُ صوتَ صفعةٍ والأمُّ تصيحُ بخالد :" لقد أصبحْتَ عنيدًا ، ولم تعدْ تستجيبُ لأىِّ طلبٍ .."

وعندما عادَتْ غاضبةً ، قلْتُ لها:" اهدئى ، فتصرُّفُكِ فى المرةِ الماضيةِ ، هو السببُ فيما فعلَهُ خالد اليومَ ."

قالَتْ فى استنكار:"هل كنْتَ تُريدُ أن أتركَهُ يُفسِدُ السجادةَ ؟"

قلْتُ لها:" كانَ يجبُ أن تُشجِّعيهِ لأنه أحضرَ الماءَ ، ثم تُوضِّحى له بهدوءٍ أن عليه إنقاصَ الكوبِ فى الحوضِ قبلَ إحضارِهِ ، وبهذا تُعطيهِ الثقةَ بنفسِهِ ، وبقدرتِهِ على تعديلِ سلوكِهِ، بغير هذا الإحباطِ بل الإهانةِ، التى جعلَتْهُ يمتنعُ عن الاستجابةِ لأىِّ طلبٍ منكِ بعد ذلك ."



يبكي ولا يخاف !!

كنْتُ أشاهدُ في التليفزيون برنامجًا عنوانُهُ " طرائف منزلية " ، وفي إحدى لقطاتِهِ ، رأيْتُ طفلاً في الشهرِ السابعِ من عمرِهِ ، يجلسُ في حضنِ أمِّهِ ، وبجوارِهِ لعبةٌ بها أزرارٌ ملوَّنةٌ .

ومَدَّ الطفلُ يدَهُ ، وضغطَ على أحدِ الأزرار ، فصدرَ عن اللعبةِ صوتُ بطةٍ تصيحُ : " كواك .. كواك " !!

وكانَ الصوتُ مُرتفعًا ومُفاجئًا ، فانزعجَ الطفلُ ، وانفجرَ يبكي ، وهو يُسرِعُ لِيُخفِيَ وجهَهُ في حضنِ أمِّهِ !

وبعدَ لحظاتٍ ، هدأ البكاءُ وتوقَّفَ . وفوجئْتُ بالطفلِ يتَّجِهُ ثانيةً ناحيةَ اللعبةِ ،ويمدُّ يدَهُ مرةً أخرى ، ثم يضغطُ على نفسِ الزرِّ الذي سبقَ أن انزعجَ منه !!

وكانَ طبيعيًّا أن يرتفعَ نفسُ الصوتِ العالي ، الذي أصبحَ يمثِّلُ خبرةً جديدةً للطفلِ : " كواك .. كواك " .

وللمرةِ الثانيةِ انفجرَ الطفلُ في البكاءِ ، تعبيرًا عن نفسِ الانزعاجِ الذي سبقَ أن أحسَّ به ، وعادَ يحتمي في صدر أمِّهِ !

قلْتُ لنفسي : " إن الرغبةَ في المعرفةِ والاستطلاعِ ، قد دفعَتْ هذا الطفلَ إلى معايشةِ نفسِ الخبرةِ مرةً ثانيةً ، على الرغمِ مما سبَّبَهُ

له الصوتُ الغريبُ المُفاجئُ العالي من انزعاجٍ " .

" إن الدافعَ إلى الاستطلاعِ عند صغار الأطفالِ ، بل وكبارهم ، أقوى دائمًا من الأذى والمخاوفِ التي قد يُسبِّبُها لهم حبُّ المعرفةِ ، وهذا هو سرُّ تقدُّمِ الإنسانِ . "



مغامرة في سلم مظلم !

ذاتَ ليلةٍ اصطحبْتُ أحدَ أقاربى إلى عيادةِ طبيبٍ مشهور ، بالدور الرابعِ فى عمارةٍ حديثةٍ ، فوجَدْنا المصعدَ مُعطَّلاً . واضطررْنا أن نتَّجِهَ إلى السلمِ ، فوجَدْناه غارقًا فى ظلامٍ شديدٍ . وبعد بحثٍ طويلٍ ، عثَرْنا على مفتاح الإضاءةِ .

وعندما ضغَطْنا عليه ، اكتشفْنا أنه ليسَتْ هناك مصابيحُ ، أو أنها مُحترِقةٌ لا تُضِيءُ .

وأمسَكْنا بسور السُّلَّمِ ، وأقدامُنا تتحسَّسُ الدرجاتِ ونحن نصعدُ . عندئذٍ فوجِئْنا بأقدامِنا تدوسُ أو تصطدمُ بأشياءَ مختلفةٍ مُلقاةٍ على



الأرضِ ، فأشعَلْنا عودَ ثقابٍ لنتَبيَّنَ طريقَنا . وكم كانَتْ صدمتُنا عندما وجَدْنا درجاتِ السلمِ مُغطَّاةً بطبقةٍ كثيفةٍ من الترابِ والقمامةِ .

وعندما وصَلْنا في النهايةِ إلى بابِ العيادةِ ، وفتحَهُ لنا مساعدُ الطبيبِ ، فوجِئْنا بنورٍ باهرٍ يغمرُ المكانَ ، الذي كان كلُّ ما فيه يتلألأ ، وينطقُ بالفخامةِ والثراءِ !!

والتفتُّ إلى قريبي ، ودارَ بينَنا حديثٌ صامتٌ ، وكلُّ واحدٍ منَّا يسألُ زميلَهُ :

" كيف نطمئنُّ إلى خبرةِ مَنْ يشغلون هذه العمارةَ ، من كبارِ الأطباءِ والمهندسينَ والمحامين ، والذين تكلَّفَتْ مكاتبُهم وعياداتُهم مئاتِ الألوفِ من الجنيهاتِ ، وقد قبلوا أن يتركوا ما هو خارجَ أبوابِهم ، على هذا الشكلِ المؤذي للبصرِ والصحةِ ؟ !! "

ولولا حاجةُ قريبي الشديدةُ لزيارةِ الطبيبِ تلك الليلةَ ، لعُدْنا من حيثُ أتَيْنا ، بغيرِ أن ندخلَ !!



لغة الوجوه

فى قاعةِ المعارضِ المتَّسِعة بمبنى الأهرامِ ، وقفْتُ أمامَ لوحةٍ من تصويرِ الفنانِ الدكتور " رمسيس مرزوق " ، المُصوِّر السينمائِيّ المعروفِ .

إنها صورةٌ فوتوغرافيةُ ، يسقطُ فيها الضوءُ على وجوهِ اثنتَىْ عشرةَ سيدةً . أما بقيةُ الصورةِ ، فليس فيها إلا درجاتٌ من اللونَيْنِ الأسودِ والرمادِيّ ، فالصورةُ تُعبّرُ عن مجلسٍ للعزاءِ .

استغرقْتُ أتأمّلُ ملامحَ الوجوهِ ، فى محاولةٍ لأن أقرأ مدى قرابةِ صاحبةِ كلِ وجهٍ للشخصِ الذى اجتمعوا بسببِ رحيلِه .

وكان أولُ ما استوقفنى ، وجهَ تلك الشابةِ التى تتوسّطُ الصورةَ ، وهمسْتُ لنفسى :

" لا شكَّ أنها أقربُ الناسِ إلى الراحلِ أو الراحلةِ . " فقد كانتِ العينانِ مُنكسرتَيْنِ تنظرانِ إلى الأرضِ ، والشفتانِ مُنطبقتَيْنِ فى أسى ، والفمُ يستندُ إلى قبضةِ اليدِ المُمسكةِ بمنديلٍ ، والحزنُ العميقُ على الملامحِ أقوى من الدموعِ المُتجمّدةِ .

أما تلك التى جلسَتْ فى أبعدِ مكانٍ ، فلم تكُنْ ملامحُها الساكنةُ الهادئةُ توحى بشىءٍ . لقد جاءَتْ للمجاملةِ ، و لا شىءَ يربطُها بالراحلِ أو أسرتِهِ .

وهذه التى فى أقصى اليسار ، تحاولُ أن تبدُوَ حزينةً ، لمُجرَّدِ إظهار مشاركتِها أسرةَ الراحلِ فى مشاعرِهم ، فهى أقربُ إليهم من قرابتِها للراحلِ .

وأخيرًا توقَّفْتُ أمامَ وجهِ تلكَ الجدةِ العجوزِ ، بنظارتِها السميكةِ ، ووجهِها الذى يبدو كأنه منحوتٌ من الصخرِ . إنها سيدةٌ عانَتْ كثيرًا فى حياتِها ، حتى أصبحَ ما نراهُ الآنَ على وجهِها من حزنٍ وأسى ، مُجرَّدَ قمةِ جبلٍ جليدٍ يختفى مُعظَمُهُ تحتَ سطحِ الماءِ .

قلْتُ لنفسى : " هذا معرضٌ نتأمَّلُ فيه بلاغةَ لغةِ الوجوهِ الناطقةِ . "



حديث الوجه والصوت

كانَتِ الأمُّ تبتسمُ وتضحكُ وهي تقولُ لابنِها ، الذى بلغَ ثمانيةَ شهورٍ من عمرِهِ : " أتعبْتَني.. لا أعرفُ متى أنامُ بسببِكَ " . ورغمَ



شكوى الأمِّ ، ابتسمَ الطفلُ لابتسامةِ أمِّهِ ، بل ضحكَ وطوَّقها بذراعَيْهِ .

وفى مرةٍ ثانيةٍ ، كانَتِ الأمُّ مُتعَبةً مُرهَقَةً ، فصاحَتْ فى طفلِها: " تعالَ أرضعك !! "، فانفجرَ الطفلُ باكيًا ، مع أنه كانَ جائعًا ، يحتاجُ بشدةٍ إلى الرضاعةِ .

حدَّثَتْنى إحدى الأمهاتِ عن هذَيْنِ الموقفَيْنِ ، فقلْتُ لها :

"لقد فهمَ الابنُ فى المرتَيْنِ الرسالةَ المُوجَّهةَ إليه ، من لهجةِ الصوتِ وملامحِ الوجهِ ، ولم يفهمْ معانِيَ الكلماتِ والجملِ . وكان ردُّ فعلِهِ بالضحكِ أو بالبكاءِ ، نتيجةَ ما فهمَهُ من تلك اللغةِ غيرِ المنطوقةِ ، التى نقولُ بها أحيانًا عكسَ ما نعبِّرُ عنه بالكلماتِ ، ونستخدمُها كثيرًا فى حياتِنا ومع أطفالِنا ، ويستخدمُها أطفالُنا معنا أو فيما بينهم ، وهى لغةٌ أصبحَتِ الآنَ محلَّ اهتمامٍ شديدٍ ممن يدرسونَ أساليبَ الاتصالِ بين البشرِ . "

ثم عرضْتُ عليها كتابًا ، ليس فيه إلا مجموعاتٌ من الصُّوَرِ ، تُبيِّنُ تعبيراتِ الوجهِ وأوضاعَ الجسمِ فى حالاتٍ مختلفةٍ ، مثلِ السعادةِ والغضبِ والشجاعةِ والخجلِ الفخرِ ، لتساعدَ الأطفالَ على إتقانِ التعبيرِ عن أنفسِهم بهذه اللغةِ غيرِ المنطوقةِ ، وأن يُحسِنوا فهمَ الآخرين عندما يتحدَّثونَ إليهم بغيرِ كلماتٍ .

من الذى يثور فى نهاية السباق ؟

منذ ٢٦٠٠ سنة ، والعالمُ يتناقلُ قصةَ "إيسوب" ، القصاصِ اليونانىِّ القديمِ ، التى تحكى حكايةَ " السلحفاة الحكيمة " ، التى تسابقَتْ مع " الأرنب النطاط " !

وكلما أحكى هذه القصةَ ، يضحكُ الأطفالُ كثيرًا من الأرنبِ الذى كان يُجيدُ النطَّ ولا يُجيدُ التفكيرَ ، والسلحفاةِ التى كانَتْ تسيرُ ببطءٍ ، لكنها تتعلَّمُ فى كلِّ يومٍ شيئًا جديدًا . ومن أهمِّ ما تَعَلَّمَتْهُ ، أن



ذلك الأرنبَ كان يشغلُ كلَّ وقتِهِ باستعراضِ قفزاتِهِ العاليـةِ ، فلم يجدْ وقتًا ليفكّرَ .

لذلك عندما سمعَ الأرنبُ أن الدبَّ يسخرُ منه قائلاً : " لا فـائدةَ من استمرارِهِ فى تكرار تلك الحركاتِ المُمِلّةِ .. إنه حتى إذا دخَلَ فى اختبار مع السلحفاةِ ، فإنها ستسبقُهُ " ، ظـنَّ الأرنـبُ أن الـدبَّ يتحدَّثُ عن سباقٍ فـى الجرى وليس فـى التفكيرِ ، لذلك سرعانَ ما ذهبَ إلى السلحفاةِ ، يتحدّاها لكى تُسابقَهُ .



وكلُّنا نعرفُ بقيةَ القصةِ ، وكيف أن جهلَ الأرنبِ قد أغراهُ أن ينامَ أثناءَ السباقِ ، مُتصوِّرًا أن السلحفاةَ لا يُمكِنُ أن تسبقَهُ !!

ثم أحكى للصغار ، كيف أن الفيلَ جاءَ فوجدَ السلحفاةَ تقفُ هادئةً مبتسمةً ، بينما الأرنبُ ثائرٌ يسبُّ ويشتمُ .

ولم يقُلِ الفيلُ شيئًا، فسألَهُ الدبُّ : " لقد انتهى السباقُ ، فلماذا لم تسألْ عمن فاز فيه ؟ "

قالَ الفيلُ : " لقد عرفْتُ من غيرِ سؤالٍ ، فالفائزُ ليسَ فى حاجةٍ إلى أن يثورَ ويسبَّ الآخرين !! "

